الفصل الأول

نبذة تاريخية عن القدس الشريف

قال أحد المؤرخين المعاصرين «ان استخدام المنهج العلمي في دراسة تاريخ المدن يستوجب على المؤرخ أن يبحث عن شهادة ميلاد مدينته التي يكتب تاريخها، فإذا ما استطاع أن يقدم تلك الوثيقة، ينتقل إلى طفولتها وشبابها وبقية عهودها الزاهرة، وأحداثها الكبرى، ومعالمها الرئيسية.

اشتق اسم مدينة القدس كما جاء في لسان العرب، في مادة (قدس):

«القُدْسُ تنزيه الله تعالى، وهو المتقدِّس القدُّوس المُقدَّس» والقُدُّوس تعني الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص. والقُدُسْ والقُدْسْ اسم ومصدر ومنه قيل للجنّة حظيرة القُدْس. والتقدّس تعني التطهير والتبريك.

وفي التنزيل: «**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**»

وأطلق على المدينة اسم «أوروسالم» ويعود ذلك إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وتتكون هذه اللفظة من شقين: (أور) وهي كلمة كنعانية معناها مدينة (وسالم) من السلام أي مدينة السلام ومن ذلك اشتق العبرانيون اسم (اورشاليم). وقد ورد هذا الاسم في ألواح تل العمارنة ومن ذلك ما ذُكر في الرسائل (وثائق العمارنة) التي وجهها الملك «عبد خيبا» الوالي المصري في بيت المقدس إلى ملك مصر «امنحوتب الرابع» والمعروف باخناتون مستنجداً به لصد هجمات أهل البادية (العبيرو) أو (الهبيرو) أو (الخبيرو) وهم العبريون أهل البادية الشمالية. وبيّن الوالي الخطر على النفوذ المصري في فلسطين.

أما قدسية المدينة في القرآن الكريم فتتمثل في قول الله تعالى في سورة الاسراء: «**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**»

ان الأرض المباركة في هذه الآية، قد تباينت حولها الأقوال، فقد قيل:

إن المقصود بالأرض التي بارك الله حولها :فلسطين والأردن، وقيل: بلاد الشام عامةً، وقيل: بيت المقدس. وقيل بورك حولها بمقابر الأنبياء وبجعلها القبلة الأولى ومهبط الملائكة والوحي وهو الصخرة المشرفة ومنها يُحشر الناس يوم القيامة.

وتبين الآية الكريمة أيضاً الرباط المقدس بين القدس ومكة أو بين الأقصى والكعبة. ورُوي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ان مكة بلد عظَّمهُ الله، وعظَّم حرمته، وحفّها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض يومئذٍ، ووصلها بالمدينة، ووصل المدينةَ ببيت المقدس، ثم خلق الأرض بعد ألف عام خلقاً جديداً**».

ويتبين من هذا أن رباطاً قدسياً سماوياً، يربط بين هذه المدن الاسلامية المقدسة الثلاث، وهو رباط يوثِّق الروابط الروحية بينها.

اليبوسيون هم بناة القدس الأولون، وكانت تسمى في عهدهم مدينة (يبوس)، وهم نزحوا عن الجزيرة العربية مع القبائل الكنعانية التي ينتمون إليها واستوطنوا هذه الديار حوالي سنة (٣٠٠٠)[1] ق.م. وقيل

(١) انظر المفصل في تاريخ القدس ص ١، الطيباوي، Bibliography of Muslim Art, Crafts and Architecture/K.A.C. Creswel

حوالي ٢٥٠٠ ق.م، وأنشأوا فيها حضارة تميزت بالتقدم الزراعي والصناعي.

أما بنو اسرائيل فقد خرجوا من مصر في عهد فرعونها رمسيس الثاني متوجهين إلى فلسطين حوالي سنة (١٣٥٠)[١] ق.م. مع النبي موسى عليه السلام، أي بعد أن استوطنها اليبوسيون بحوالي (١٦٥٠) عاماً، وتاهوا في صحراء سيناء مدة اربعين عاماً، ثم دخلوا واستوطنوا جنوبي مدينة الخليل، وعندما حاولوا التقدم إلى الشمال اصطدموا مع بني كلاب وبني عتاق الذين اشتهروا بالجرأة وعدم الخوف[٢]. وعندما استطاع بنو اسرائيل احتلال اريحا كانت وصية يشوع لهم كما جاء في اسفار العهد القديم[٣] ان اكسروا وانهبوا واقتلوا وافتكوا وأتوا المنكرات.

ثم حكمهم يهوذا بعد يشوع، ودخلوا القدس في عهده بعد أن أشعلوا المدينة بالنار.

إن المدن التي عجز العبرانيون عن فتحها كانت ذات حضارة قديمة ونشأت قبل (١٥٠٠) سنة من فتحها وكان لها حكومة، وصناعة، وتجارة، وعلم، ومعرفة بالكتابة، وديانة[٤]. وكان العبرانيون يقلدون أهلها الأصليين في حضارتهم، ولذلك ليس صحيحاً ما يدّعي الاسرائيليون بأن لهم حضارة قديمة.

عندما حكم داود عليه السلام بدأ في بناء هيكل للعبادة وأتى بالحجارة من المحجر الموجود قرب باب العامود والمسمى الآن (مغارة سليمان) ثم أكمل سليمان عليه السلام هذا الهيكل حوالي سنة (١٠٠٥)[٥] ق.م. وكانت مساحته ٧٠ ذراعاً طولاً × ٢٠ ذراعاً عرضاً.

هُدم هذا الهيكل على يد نبوخذ نصّر الذي سبى اليهود، ثم أعاد ترميمه الملك هيرود سنة ١٨ ق.م. وجاء تيطس بعد ذلك وهدم الهيكل الثاني سنة (٧٠) ب.م. وجاء بعده هدريان وازال آثاره بالكامل عام ١٣٥ ب.م.

قال المؤرخ المستر (ليونيل كاست) ان الاختلافات التي قامت بين اليهود في مدينة القدس، والدماء التي سالت في شوارعها كانت صفحة سوداء في تاريخهم وهي التي أدت إلى انهيار كيانهم.

ان ما حصل بعد احتلال القدس ثانية من قبل الاسرائيليين عام ١٩٦٧ لا يختلف في جوهره عن ممارساتهم السابقة وحقدهم الأسود وتاريخهم المشين في هذه المدينة المقدسة.

---

(١) انظر المفصل في تاريخ القدس ص ٨

(٢) انظر الموسوعة البريطانية ج ١٣ ص ٤٤

(٣) انظر سفر يشوع، الاصاح ٦، العهد ٢١

(٤) انظر تاريخ برستد

(٥) انظر المفصل في تاريخ القدس

نبذة جغرافية عن القدس الشريف

الموقع ـ تقع القدس على خط عرض ٤٦َ ـ ٣١° شمالاً، وعلى خط طول ١٤َ ـ ٣٥° شرقاً، وتبلغ مساحة المدينة المقدسة داخل الأسوار كيلومتراً مربعاً واحداً. وتحتل موقعاً متوسطاً هاماً على الجبال الفلسطينية الوسطى، حيث تقع على منتصف المحور الشمالي الجنوبي الذي يصل منطقة الجليل بوسط فلسطين وجنوبها، وتربط بين أهم المدن الفلسطينية الجبلية: صفد، والناصرة، وجنين، ونابلس، ورام الله، وبيت لحم، والخليل.

ان سطح الجبال الفلسطينية في منطقة القدس ينخفض حوالي مائة متر عن المناطق المجاورة من الشمال والجنوب، بسبب بعض الانكسارات الأرضية الممتدة شرقاً وغرباً، وهذا قد أعطى القدس أهمية، فأصبحت نقطة اتصال بين الساحل الفلسطيني من الغرب، وبين الغور من الشرق.

من ذلك يتبين أن موقع القدس له أهمية كبرى، فهو نقطة التقاء للطرق الواصلة بين شمال فلسطين وجنوبها، وبين شرق فلسطين وغربها.

التضاريس الطبيعية ـ تقع القدس على ارتفاع (٧٢٠ ـ ٧٨٠) متر فوق سطح البحر. وتتكون أراضيها من تلال صخرية قليلة الارتفاع عما حولها، متصلة الامتداد بالأراضي المجاورة من جهة الشمال (باب الساهرة)، ومحاطة بالأودية القليلة العمق من الغرب والشرق والجنوب. أما داخل أسوار المدينة التاريخية، فإن الأرض تميل بانحدارات خفيفة من الشمال والغرب نحو الجنوب والشرق. ان الصخر الكلسي المتوفر في القدس يصلح للبناء، وانشاء الآبار، والبرك، والأنفاق، مما كان له شأن كبير في تاريخ المدينة.

درجات الحرارة ـ يسود القدس مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط، ذو الشتاء المعتدل المائل إلى البرودة، والصيف الحار نسبياً. ومتوسط درجات الحرارة في أشهر الشتاء يتراوح بين ٨° ـ ١٢°م، أما في الصيف فالمعدل يتراوح بين ٢٠° ـ ٢٤°م، كما أن نسيم الهواء الغربي البحري الذي يهب في أمسيات الصيف يلطف من حرارة الجو صيفاً.

الأمطار ـ ان معدل كميات الأمطار السنوية يزيد قليلاً على ٥٠٠ ملم، وتسقط هذه الأمطار في فصلي الخريف والشتاء (من تشرين أول إلى نيسان)، ولا يزيد متوسط عدد الأيام الماطرة في القدس على ٥٠ يوماً سنوياً، ولهذا فإن الشمس تظهر في أكثر أيام السنة.

حول العمارة الاسلامية في القدس الشريف

تخطيط المدينة المقدسة

هناك مبادىء اساسية عامة يلتزم بها مخطط المدينة الاسلامية بغض النظر عن الزمان والمكان الذي ستُنْشأ فيه، كما أن هناك مميزات ومبادىء فنية واجتماعية وبيئية خاصة تختلف حسب الزمان والمكان. وفي مدينة القدس الشريف راعى المخطط هذه المبادىء والمميزات حيث اعتبر أن للدين علاقة اساسية في تخطيط مدينة القدس. ويجب أن يكون المسجد هو المركز الرئيسي للوحدة التخطيطية، يتفرع منه نسيج المدينة المعماري.

وعليه كان المسجد الأقصى المبارك هو البؤرة الرئيسية في تخطيط هذه المدينة. أضف إلى ذلك التجانس مع البيئة ضمن روحانية واحدة، وبساطة التخطيط التي توحي بالراحة النفسية والجمال المعماري. وقد قال أحد الكتاب: ان الله تعالى قسّم الجمال إلى عشرة أجزاء منح القدس تسعة منها، ووزع الجزء العاشر على باقي الكرة الأرضية.

من الملامح الأساسية لطابع مدينة القدس وشخصيتها انها تحافظ على مكوناتها المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعادات سكانها العرب وتقاليدهم وثقافتهم، ومن هذه المكونات الاحياء السكنية المتضامنة، والخدمات الرئيسية من أسواق، ومساجد، ومدارس، وملاعب، وخدمات صحية مترابطة مع الأحياء السكنية، وغير مفصولة عنها. وكذلك تحافظ على تراثها الثقافي، والبيئي، والمعماري لضمان عدم إدخال عناصر غريبة عليه، أو إزالة أي جزء منه، مع ترميمه باستمرار.

وعندما نتكلم عن المسجد الأقصى على أنه البؤرة الرئيسية لمدينة القدس نعني بذلك الحرم الشريف بعنصريه الرئيسيين: المسجد الأقصى، والصخرة المشرفة. وفيما يلي لمحة معمارية عن كل منهما:

قبة الصخرة المشرفة

بنى الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة ما بين (٦٨٥-٦٩١م) نتيجة للاستقرار الذي شهدته الخلافة الأموية في ذلك الوقت، ولاستقطاب المسلمين حولها. وتم تصميم البناء ليكون قبلة للأنظار. وبالفعل فانه يعتبر آية في فن الهندسة المعمارية الإسلامية على مر العصور.

يبلغ قطر القبة من الداخل ٢٠,٣م وارتفاعها ٢٠,٤٨م. بهرت قبة الصخرة المشرفة برونقها وتناسقها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين الذين يرون فيها مزيجا من جمال الهندسة المعمارية والذوق العربي مع الاستفادة من الاسلوب البيزنطي، ولاريب في ذلك فقد اشترك في بنائها صناع من العرب والروم والبيزنطيين باشراف اثنين هما:

رجاء بن حياة الكندي أحد علماء الاسلام من بيسان، ويزيد بن سلام من القدس.

روعيت في إنشاء هذه القبة اتجاهات فلسفية تتمثل في تحديد مكان البناء الجغرافي العام في مدينة القدس، والموقع الجغرافي الخاص في ساحة الحرم الشريف (المسجد الأقصى)، وموقع البناء المباشر فوق الصخرة الشريفة. كما روعيت الاتجاهات الفنية في اختيار الشكل الثماني، والقبة المركزية المزدوجة. وكان يمثل هذا أسلوباً معماريا شائعاً في بلاد الشام، والأبواب في الاتجاهات الأربعة، والكتابات الاسلامية التي تدفع إلى

التأمل بالقدرة الالهية والحكمة الاسلامية، وزخارف الفسيفساء الهندسية والبنائية (الأرابسك) التي توحي بالصفاء الروحي المثالي، والتي تركت أثرا كبيرا في منهاج الفنون الاسلامية باعتبارها من أقدم الاساليب الزخرفية، واستعمال النسب الهندسية في التصميم، والزخرفة، كما هي الحال في السقف الداخلي. عندما ينتقل الشخص إلى داخل مبنى قبة الصخرة المشرفة من الجو الحار الخارجي في الصيف يشعر فورا بالجو الداخلي المنعش والإضاءة الخافتة المريحة للنفس والأعصاب، والصادرة عن الضوء الخارجي بطريقة غير مباشرة، ثم يلاحظ النقاء الهندسي في كل شيء حوله.

أما الصاعد فوق السقف الخارجي فانه يرى جميع الحرم الشريف تحته وكأنه مخطط بديع تحتل الصخرة المشرفة فيه مكان البؤرة الرئيسية. إن هذا المبنى دون شك، يعدّ روعة في الجمال، والتناسق، والتناظر، والنسب الهندسية، والنقاء الهندسي، وهذا مايشهد به كل من يزوره من علماء الآثار، والتاريخ، والفن المعماري، من العرب والأجانب. فقد قال الدكتور هارتمان HARTMAN ان قبة الصخرة نموذج من التناسق والانسجام. وقال الاستاذ هايتر لويس HAYTER LEWIS إن قبة الصخرة هي أجمل الأبنية الموجودة على وجه الأرض، بل إنها أجمل الآثار التي خلّدها التاريخ. وللسيد كريزويل K.A.C. CRESWELL (الذي كان مفتشا للآثار في حكومة فلسطين أيام الانتداب البريطاني) دراسات هامة لقبة الصخرة.

ومجمل القول إنّ بناء قبة الصخرة يمثل الصورة الصادقة للشخصية العربية المسلمة بكل أبعادها الفلسفية والفنية، وعندما يتكلم شخص عن العمارة الاسلامية، فهذا أفضل مثل عليها لما فيه من إبداع فني معماري هندسي.

المسجد الأقصى المبارك

إلى الجنوب من قبة الصخرة المشرفة يقوم مبنى المسجد الأقصى المبارك الذي تبلغ مساحته حوالي ٤٤٠٠ مترا مربعا، وقد بناه الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٩٣م، وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م مكان مسجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان في الناحية الشرقية. يبلغ طول المسجد حوالي ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا، ويقوم على ٥٣ عمودا من الرخام، و ٤٩ سارية مربعة الشكل.

عندما احتل الصليبيون القدس جعلوا جزءاً منه كنيسة، والقسم الآخر مسكنا لفرسان الهيكل، ومستودعاً لذخائرهم، ولكن صلاح الدين أصلح المسجد، وجدّد المحراب، وكسا القبة بالفسيفساء، وأتى بالمنبر الخشبي المرصّع بالعاج والأبنوس من حلب، ووضعه في المسجد رمزا للنصر. يُبرز المسجد الأقصى جمال الزخرفة الاسلامية المتمثلة في القبة الخشبية الداخلية المغطاة بالرسومات النباتية المجسمة الجصية، والتلوين الجميل المذهب، وفي الشبابيك المصنوعة من الجص في خطوط مائلة وعلى قاعدة من الزجاج الملون لمنع دخول الأشعة المباشرة، والتي تعطي للمكان رونقا وجمالاً، وتوحي بالقدسية والروحانية.

بُوشر بترميم المسجد الأقصى مباشرة بعد إحراقه من قبل الاسرائيليين في ٢١-٨-١٩٦٩، وأزيلت آثار الحريق، ويجرى الآن ترميم القبة الداخلية، والكتابات القرآنية، وسورة الاسراء المكتوبة بالفسيفساء الملونة، وتبدأ من أعلى المحراب وتمتد باتجاه الشرق إلى مسافة ٢٤ مترا، وحُضّرت جميع المخططات الزخرفية اللازمة لصنع منبر جديد يحل مكان المنبر المحترق.

سور القدس وأبوابها

ان الجدران الحالية التي تحيط بمدينة القدس الشريف هي نتيجة الترميم التركي في عهد السلطان سليمان القانوني (سليمان الكبير) عام (١٥٣٦م). ويبلغ مجموع طولها (٤٢٠٠) متر وتشكل (٦٠٠) متر منها الجدار الشرقي والجنوبي للحرم الشريف. ويمكن الدخول من السور إلى المدينة المقدسة عن طريق الأبواب الآتية:

- باب العمود، وباب الساهرة، وباب الجديد من الناحية الشمالية.
- باب الملك داود، وباب المغاربة من الناحية الجنوبية.
- باب الخليل من الناحية الغربية.
- باب الأسباط من الناحية الشرقية.

يقول بعض المؤرخين: إن القدس تعرضت للهدم مع أسوارها (١٧) مرة، وقد أمكن الحصول على تفاصيل بعض هذه الأحداث التي تعاقبت على أسوار القدس التي بقيت شامخة على مر الزمن:

١ ـ في عام (٥٨٧)ق.م. حاصر نبوخذ نصر بالاشتراك مع الأدوميين أسوار القدس إلى أن اختار اليهود الهرب من داخل القدس، ففتحوا جانبا من السور، وهربوا منه مع ملكهم صدقيا، فأدركهم الكلدانيون، وألقوا القبض على الملك وابنه، وأتوا بهما إلى نبوخذ نصر الذي قتل الإبن وفقأ عين الملك، وأرسله إلى بابل[١]، ثم دمر الهيكل[٢]، ودك أسوار القدس، وجلا شعبها إلى بابل، وقتل معظمهم هناك، واستعبد الباقي. ولكن عندما تغلب كورش ملك الفرس على البابليين احتل القدس عام (٥٣٨)ق.م. وسمح لخمسين ألف رجل من اليهود، علاوة على النساء والأطفال، بالعودة إليها.

٢ ـ في عام (١٦٣)ق.ب. حاصر انطوخيوس الخامس القدس مع حوالي (١٢٠) ألف من الجيش اليوناني، وهدم أسوارها.

٣ ـ في عام (٦٣)ق.م. جاء بومبيوس الروماني من سوريا، وحاصر القدس لمدة ثلاثة أشهر، ثم دكّ أسوارها بالمنجنيقات حتى أحدث ثقوبا فيها، وتمكن من احتلال المدينة المقدسة.

٤ ـ في عام (١٨)ق.م. جاء هيرود الآدومي الأصل، واعتنق الديانة اليهودية، وخرج على المكابيين انتقاما لأبيه الذي قتله هؤلاء، والتجأ إلى الرومان، فنصبوه ملكا على فلسطين، فرمم الهيكل إرضاء للشعب الذي كان يبغضه، وتم تدشين البناء عام (١١)ق.م. ويدعي اليهود ان جزءا من سور الحرم الشريف الحالي (حائط البراق) قد بني في ذلك الوقت بسبب الأحجار الكبيرة الحجم التي امتاز بها بناء هيرود، والمشابهة لما وجد في الجزء السفلي لحائط البراق خلال عملية الحفريات الاسرائيلية، متناسين أن بناء هيرود قد دمّره تيطس الروماني عندما جاء مع (٨٠) ألف من الجيش الروماني، ودكّ أسوار القدس بتاريخ ١١ نيسان عام (٧٠)ب.م باستعمال الأبراج المتحركة، والمقاليع، وحفْرِ الخنادق أسفل السور لضعضعته، وكانت دهشته عندما رأى اليهود قد بنوا سورا جديدا داخل السور

---

(١) سفر الملوك الثاني الأصحاح ٢٥ العدد ٦

(٢) الهيكل الأول الذي بناه النبي سليمان عليه السلام عام (١٠٠٥ ـ ٩٦٠) ق.ب.

الخارجي، وراح اليهود يدافعون من فوقه، ولكن تيطس هدمه كما هدم السور الخارجي. وجاء بعده هدريان عام (١٣٥)ب.م. فأزال آثار الهيكل بكاملها، ثم أعيد استعمال الأحجار الكبيرة في أسفل السور عند إعادة بنائه في مرحلة لاحقة.

٥ ـ في عام (٦١٤)ب.م. جاء احتلال الفرس الثاني للقدس على يد قائدهم (شهرباراز) الذي قَتل حوالي (٧٠) ألفا من المسيحيين، ودكّ أسوار القدس، وكان معه يومئذ (٢٦) ألف يهودي انضموا إليه من طبريا، والناصرة، والجليل، واشتركوا في تدمير الكنائس وحرقها ودفن حوالي (١٠) آلاف عند الثغرة التي فتحت في السور، وعبروا منها إلى المدينة.

٦ ـ في عهد هرقل (٦١٠ – ٦٤١)ب.م. كان الاسراء والمعراج. وعندما أُسري بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الأقصى، شاهد الأسوار والأبواب بدليل أنه وصفها للصحابة رضي الله عنهم عندما سألوه أن يصف لهم الأقصى، فصوره الله له، وأخذ يصفه باباً باباً.

وعندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس بنى مسجداً في موقع الأقصى يتسع لِـ(٣٠٠٠) من المصلين عام (٦٣٥)ب.م. وكان سقفه من الخشب، وقد اندثر مع الزمن.

٧ ـ في عام (١٠١٦)ب.م. حصلت زلزلة هُدم بسببها سور الحرم الشريف، فرممه الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله عام (١٠٢٢)ب.م. كما رمم قبة الصخرة. ولكن في عام (١٠٦٧)ب.م. كثرت الزلازل، وانثلم سور القدس، وانشقّت الصخرة، فأمر الخليفة المنتصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بترميم السور، والصخرة المشرفة، وتجديد الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى.

٨ ـ في عام (١٥٣٦)ب.م. كان آخر ترميم شامل لسور القدس في عهد السلطان التركي سليمان القانوني. وظلت المدينة المقدسة محصورة ضمن الأسوار إلى عام (١٨٥٨)ب.م. ولم تكن هناك أية مبانٍ خارج السور الذي كانت تغلق أبوابه عند الغروب، ولا تفتح لأي إنسان يأتي متأخرا بعد الغروب، فيضطر لقضاء ليلته خارج السور معرضا نفسه للخطر.

٩ ـ في عام (١٨٥٨)ب.م. تأسست المسكوبيّة في موقعها الحالي (والتي كانت تسمى في ذلك الحين رأس الميدان)، وتم فتح باب صغير[1] في إحدى درفتي كل باب من أبواب السور تستعمل ليلا للدخول إلى المدينة من قبل المتأخرين.

عند ذلك بدأ الناس يبنون بعض المساكن خارج السور بجوار المسكوبية.

وفي عام (١٨٨١)ب.م. أخذ يزداد عدد العمارات خارج السور، وأخذت السلطة تتساهل في مسألة إغلاق الأبواب بعد الغروب، غير انها بقيت تغلق في منتصف نهار يوم الجمعة لمدة ساعتين ليتمكن الجنود المرابطون في القلعة من الذهاب إلى المسجد الأقصى لتأدية فريضة الجمعة، وانتهت هذه العادة في أواخر القرن التاسع عشر.

---

(١) والذي يطلق عليه اسم (خوخة)

وكان سكان المدينة إذا خرجوا خارج السور يسيرون في حماية شيوخ القرى المجاورة[1] الذين كانوا مسؤولين عن حمايتهم، وحماية تجارتهم لقاء مخصصات معلومة، وعلى العكس اذا دخل القرويون داخل المدينة كانوا يفدون إلى الافندية والزعماء من شيوخ المدينة.

حائط البراق

هو الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم الشريف، ويبلغ طوله حوالي (٤٨) مترا، وارتفاعه حوالي (١٧) مترا ويعد من الأملاك الاسلامية لأنه يشكل جزءا من الأقصى، وله علاقة وطيدة بإسراء النبي محمد عليه الصلاة والسلام، من الكعبة إلى الأقصى حيث أوصلته وسيلة الاسراء إلى ذلك المكان المبارك، وسمي فيما بعد باسمها «حائط البراق». يبلغ طول بعض حجارته (٥) أمتار. أما الرصيف أمام حائط البراق الذي يقف عليه اليهود عندما يزورون الحائط فيبلغ (٣,٣٥) متراً، وعرضه (٣,٣٥) متراً. وهو من أوقاف أبي مدين الغوث، أُنشيء هو والاملاك المجاورة له في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي لمنفعة جماعة من المغاربة المسلمين.

إن ملكية حائط البراق الاسلامية قد أيدها تقرير هيئة عالمية شكلت في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين وقدمت تقريرا بذلك سنة (١٩٣٠)م، وأُعيد نشر هذا التقرير بتاريخ ٢٣ شباط سنة ١٩٦٨م بعد الاحتلال الاسرائيلي للقدس تحت رقم S 18427[2].

رغم أن اليهود لايملكون أي حق قانوني بهذا الحائط إلا أن تسامح المسلمين يسّر لليهود زيارة هذا الحائط والبكاء خلفه، ومن هنا جاءت تسمية «حائط المبكى» التي أطلقها عليه اليهود واسمه الحقي هو «حائط البراق».

يدعي اليهود بأن هذا الحائط هو من بقايا الهيكل متناسين أن الهيكل الأول الذي بناه النبي سليمان عليه السلام عام (١٠٠٥)ق.م. قد هدمه نبوخذ نصر في عهد الكلدانيين عام (٥٨٧)ق.م. ومتناسين أيضا أن الهيكل الثاني الذي بناه هيرود الآدومي الأصل عام (١٨)ق.م. قد هدمه تيطس الروماني عام (٧٠)ب.م. وازال آثاره بالكامل هدْرِيان الروماني عام (١٣٥)ب.م. الذي هدم جميع القدس حسب ما جاء على لسان المؤرخ اليهودي[3] (FLAVIUS JOSEPHUS)، وجعل القدس مستعمرة رومانية ليس لليهود أي حق للعيش فيها.

لمحة هندسية عن سور القدس

تختلف سماكة السور وارتفاعه من موقع إلى آخر حسب التضاريس الطبيعية للأرض، ويبلغ ارتفاعه في بعض الأماكن ثلاثين مترا، وتزيد سماكته في معظم الحالات على مترين حتى يتمكن الحرس من السير والتنقل في أعلاه بسهولة ويسر.

صمم الجزء العلوي من السور باستحداث طاقات مستطيلة لاستخدامها من قبل الحراس في توجيه

---

(١) مثل سلوان وابوديس ولفتا

(٢) حسب ما جاء في ملفات هيئة الأمم المتحدة

(٣) الانسيكلوبيديا العالمية الجزء العاشر.

البنادق منها، كما يلاحظ أن الجزء العلوي من السور قد انشيء باستعمال حجارة صغيرة الحجم بالقياس إلى الأحجار السفلية، وقد تم ذلك في العهد العثماني. وتبرز من خارج السور في بعض الأماكن شبابيك تشبه المشربيات الاسلامية، وفيها فتحات رفيعة للحراسة، تتسع من الداخل لتسهيل توجيه البندقية. وقد استخدمت في إنشاء السور الأحجار الكلسية بأحجام مختلفة، وفي مداميك منظمة استعملت المونة الجيرية في لحامتها مما أضفى على البناء قوة ومتانة. ولكن عامل الزمن دائما بالمرصاد، ورغم ان المدة التي انقضت منذ الترميم العثماني الأخير للسور تزيد على أربعمئة وخمسين عاما إلّا أن السور مازال شامخا يتحدى عوامل التلف والانهيار اللهم الّا في مناطق محدودة تحتاج إلى الترميم والاصلاح للمحافظة على هذا الأثر التاريخي العظيم. جميع أبواب السور مصنوعة من الخشب القاسي مصفحا بالصاج ماعدا باب الساهرة، وباب الجديد الذين تم تجديدهما بأبواب حديدية في عهد الانتداب البريطاني.

الطابع المعماري الاسلامي في مدينة القدس

تبلغ مساحة مدينة القدس ضمن الأسوار كيلومتراً مربعاً واحداً يشغل الحرم الشريف منه مايقارب ٥٠٠×٣٠٠ مترا مربعا في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة.

يحيط بالمدينة سور حجري مرتفع يشتمل على خمسة أبواب مفتوحة هي باب الزاهرة، وباب الأسباط، وباب العامود، وباب الجديد، وباب الخليل، وباب النبي داود عليه السلام، واربعة أبواب مقفلة هي الباب المفرد، والباب المزدوج، والباب الثلاثي، والباب الذهبي.

ويحيط بالحرم الشريف سور حجري يشتمل على ثلاثة أبواب مفتوحة من الشمال، وهي: باب الأسباط، وباب حطة، وباب فيصل، وستة أبواب مفتوحة من الشرق، وهي: باب الغوانمة، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب القطانين، وباب السلسلة، وباب المغاربة.

ويتصل الحرم الشريف بباقي اجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم الشريف التسعة، وتمتد بين أجزاء المدينة المختلفة ذات الوظائف المختلفة. ولم يقف اختلاف المناسيب الطبوغرافية ضمن المدينة حائلاً أمام المخطِّط والمصمِّم، حيث تم التغلب على هذه العقبة باستعمال أدراج حجرية عريضة ومريحة لتنقل الشخص من منسوب إلى آخر.

تمتاز طرق المدينة المقدسة بأنها رفيعة ومخصصة للمارة دون السيارات، وبعضها مغطى بالعقود الحجرية الجميلة التي ترجع إلى العصور الاسلامية المتوسطة، ونجد بعضها الآخر مفتوحاً. كما بنيت المدارس، والمساكن، والزوايا، والسبل للسقاية على جانبي الطرق، وتحمل العقود الحجرية فوقها الأبنية الحجرية التي تطل على الطريق بشبابيكها الصغيرة.

ان هذا الاسلوب في استعمال الطرق الرفيعة يوفر الظلال المريحة للمشاة، ويخفف من درجة حرارة الجو، ويمنع سقوط أشعة الشمس المباشرة على المارة وخصوصا في أيام الصيف، وتتميز به العمارة الإسلامية في المدن الإسلامية التاريخية.

إن الطرق المخصصة للأسواق التجارية مفتوحة على بعضها البعض لتسهيل الاتصال من سوق إلى آخر. أما الحارات السكنية، فينتهي بعضها إلى نهايات مسدودة لتوفر للحارة الواحدة الشعور بالاستقلالية.

بإمكان الانسان أن يقطع جميع طرق القدس الشريف في وقت قصير، وأن يقضي جميع احتياجاته سيرا

على الأقدام دون تعب أو ملل، وذلك راجع إلى فلسفة تخطيط المدينة، وإلى اتباع الأسس السليمة في العمارة الاسلامية، وإلى التقيد بالمعايير الانسانية HUMAN SCALE.

جميع أبنية القدس الشريف من الحجر، استُعمل في بنائه مونة الجير، فلم يكن الاسمنت معروفا. واستُعملت القباب، والعقود للأسقف من الحجر والجير والطين. وشبابيك الأبنية صغيرة المساحة ومفتوحة في جدران سميكة لتؤمن التهوية والاضاءة، وتمنع دخول الأشعة المباشرة في نفس الوقت. وتطل بعض الأبنية على الطريق من خلال مشربيات خشبية جميلة الصنع تساعد في تهوية البيت، وتستعمل أيضا للجلوس والاستراحة ومشاهدة الطريق دون التعرض إلى نظر المارة، وتتلاصق الأبنية بعضها مع بعض، وكأن القدس عبارة عن مبنى واحد متشابك الأجزاء، ومكونا لنسيج المدينة الجميل الهادىء المتعاضد.

تتجلى بساطة التصميم في المساكن بتوفير الساحات الداخلية المكشوفة، والتي تعدّ من أهم مميزات العمارة الاسلامية، كما أن النقاء الهندسي، والبساطة، وتأدية الوظيفة، واستعمال المواد الانشائية المحلية، والتهوية الجيدة، والتجانس بين الأبنية في المدينة المقدسة، كل ذلك يعد من الأسس الهامة في تطبيق فن العمارة الاسلامية. كانت تنعم القدس الشريف في هذا الجو المعماري الهادىء حتى جاء الاحتلال الاسرائيلي، فبدأ الاسرائيليون بتغيير الوجه المعماري الجميل للقدس أحيانا بجرحه جرحا عميقا لكي لا يبرأ منه، وأحيانا أخرى باجراء عمليات قبيحة كانشاء الأبنية المرتفعة المجاورة للحرم الشريف والتي تعلوه ارتفاعا بعد أن كان الحرم الشريف هو الذي يطل على كل ما حوله.

تعد مدينة القدس مدرسة للفن المعماري الاسلامي، وتغطي مرحلة ليست قصيرة من العصور الاسلامية المتوسطة ابتداء من الأمويين، ثم العباسيين، والفاطميين، والأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين. ويجب ألّا يسمح العالم المتمدّن للاسرائيليين بتغيير معالم المدينة، وطمس هذه الحضارة الانسانية.

لقد أصبح التراث المعماري الاسلامي في القدس مهدداً بالخطر من قبل الاحتلال الاسرائيلي الذي لم يأل جهدا بالضغط على السكان العرب لتفريغ المدينة منهم، واستبدالهم بسكان غرباء عنها بعد هدم البيوت العربية الأثرية الغنية بفن العمارة الاسلامية، وانشاء عمارات جديدة لا تمت بصلة إلى البيئة أو المجتمع، وفي ذلك اعتداء على التاريخ والانسانية والثقافة والفنون. ولإيقاف هذا الخطر في سبيل الحفاظ على التراث العربي الاسلامي للمدينة العربية، يجب مسح كامل أبنية المدينة المقدسة وتوثيقها واعتماد خطة واسعة فنية، ومالية للترميم والصيانة وتأمين الجهاز الفني ذي الخبرة في هذا المضمار بعد أن تم تسجيل المدينة المقدسة ضمن قائمة التراث العالمي في اليونسكو بطلب من الحكومة الاردنية في عام ١٩٨٠م، ثم سجّلت ضمن قائمة التراث المهدد بالخطر في عام ١٩٨٢.